مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

خلق التسامح في دعوة الأنبياء مع أقوامهم
سورة الشعراء أنموذجا(*)

أ.د/ حسن محمد علي آل أيوب عسيري
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد - السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 2/3/2025 تاريخ قبوله للنشر 16/3/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

خلق التسامح في دعوة الأنبياء مع أقوامهم
سورة الشعراء أنموذجًا

أ.د/ حسن محمد علي آل أيوب عسيري
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد - السعودية

الملخص

حاولت في هذا البحث جمع ودراسة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع خلق التسامح في دعوة الأنبياء مع أقوامهم، وذلك من خلال سورة الشعراء.

وقد خلص البحث في نهايته إلى نتائج كان من أبرزها: أن القرآن الكريم هو دستور الأخلاق والآداب، وهو يشتمل على الآداب السامية، والأخلاق الراقية، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا أبرز العاملين بالتوجيهات الربانية، وخاصة فيما يتعلق بخلق التسامح مع قومه عند دعوتهم إلى الإسلام.

وانتهى البحث أيضًا إلى التوصية بعمل دراسات متخصصة حول خلق التسامح عند الأنبياء في بقية السور القرآنية.

الكلمات المفتاحية: خلق، التسامح، الأنبياء، الشعراء.

The Creation of Tolerance in the Prophets' Call to Their People Surah Ash-Shu'ara as a Model

Prof. Hassan Mohammed Ali Al- Ayoub Asiri
Professor, Department of Qur'an and Its Sciences
College of Sharia and Fundamentals of Religion
King Khalid University - Saudi Arabia

Abstract

In this research, I tried to collect and study Qur'anic verses related to the topic of tolerance temper in the prophets' calling to their people, through Surah Ash-Shuara.

At the end of the research, it concluded with results, the most prominent of which were: that the Holy Qur'an is the constitution of morals and etiquettes, and it includes sublime etiquettes and refined morals, and that the Prophets, may God bless them, were the most prominent workers of divine directives, especially with regard to tolerance temper with their peoples when calling them to Islam.

The research also ended with a recommendation to conduct specialized studies on tolerance temper among the prophets in the rest of the Qur'anic surahs.

Keywords: Temper, Tolerance, prophets, Ash-Shuara.

مقدمة البحث:

كما يعد القرآن الكريم مصدر التشريع عند المسلمين، والمنبع الأساس في اقتباس الأحكام الشرعية والفقهية والمعاملاتية، فإنه يعد كذلك دستور الأخلاق والآداب، فهو يشتمل على الحث على الآداب السامية، والأخلاق الراقية.

وقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم القدوة في الأخلاق، والأسوة في الآداب، وقد أثنى عليهم الله تعالى في سمو أخلاقهم، وشريف خصالهم، وعظيم تعاطفهم ورحمتهم للأمة.

وقد اشتمل القرآن الكريم على توجيهات جليلة في هذا الموضع، فجاء هذا البحث للكشف عن بعض تلك التوجيهات الربانية، والخلاق النبوية في التعامل مع أطياف المجتمع المختلفة، وذلك من خلال سورة الشعراء.

مشكلة البحث:

- ما أبرز التوجيهات الربانية المتعلقة بخلق التسامح، في سورة الشعراء؟

منهج البحث:

سأتبع في كتابة هذا البحث من حيث الإجمال: المنهج العلمي والوصفي والتحليلي، متبعًا في ذلك ما يلي من الخطوات:

١- كتابة الآيات القرآنية برواية حفص عن عاصم، مع عزوها في المتن بذكر اسم السورة والآية.

٢- تخريج الأحاديث الواردة والآثار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه بذكر اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، فإن لم يكن الحديث فيهما فإني أخرجه من السنن الأربعة بنفس طريقة العزو السابق، فإن لم يكن الحديث فيها فإني أخرجه من مظانه، مع بيان درجة الحديث من كلام الأئمة، وذكر أقوالهم فيه ما أمكن.

٣- عدم ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في ثنايا البحث؛ لعدم خفاء حالهم على المتخصص.

٤- توثيق النصوص والآراء وأقوال أهل العلم من مصادرها الأصلية، إلا إذا تعذر الأصل فعند ذلك تُعزى إلى أوثق المصادر المعتمدة في ذلك.

أهداف البحث:

١- جمع الآيات القرآنية الواردة في سورة التوبة والمتعلقة بخلق التسامح في دعوة الأنبياء مع أقوامهم.

٢- دراسة الآيات القرآنية وبيان التوجيه الرباني الوارد فيها، وذكر أبرز التطبيقات النبوية لها.

الدّراسات السّابقة:

لم أقف على دراسات متخصصة حول هذا الموضوع، مع كثرة الكتابات والأبحاث المتعلقة بموضوع الأخلاق في القرآن الكريم.

– خلق التسامح في دعوة الأنبياء مع أقوامهم

سورة الشعراء أنموذجا:

لقد تجلى خلق التسامح في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خلال سورة الشعراء، في عدد من المواقف والأحداث التاريخية، ومن أبرزها ما يلي:

أولًا: المبالغة في دعوة الناس وإرهاق النفس

حيث ظهر ذلك في عتاب الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

والبخع هو: القتل والإهلاك(١).

حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم من حرصه على هداية قومه، وشفقته عليهم من الضلال والعذاب المترتب على المكذب به والمتولي عن قبول دعوته؛ فقد كان يُحمِّل نفسه فوق طاقته، ويبالغ في الترفق والشفقة ولو على حساب نفسه وطاقته، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦](٢).

والأسف هو: النهاية في الحزن، كما ذكر سبحانه وتعالى في قوله حكاية عن قول يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٨٤](٣).

قال الواحدي: "لما كذبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم شق ذلك عليه، واشتد حتى أثر فيه، وكان يشتد حرصه على إيمانهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وهي كالإنكار عليه شدة حرصه؛ وذلك أنه كان يعلم أن الله عز وجل إن لم يهدهم لم يهتدوا فما يغني عنه حرصه على إيمانهم، واشتداد تكذيبهم عليه"(٤).

والداعي إلى الله تعالى ينبغي أن يكون حريصًا على نفع غيره وإرشاده ونصحه، ولكن يجب عليه مع ذلك مراعاة حقوق نفسه ومشاعرها.

قال العثيمين: "في هذا دليل على أن الإنسان الداعية لا ينبغي أن يهلك نفسه في الهم والغم لعدم قبول الناس للحق؛ لأنه إذا أتى بما يجب عليه انشرح صدره، وكفى، فأنت أتيت بما يجب عليك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إن امتثل الناس فهو نعمة على الجميع، وإن لم يمتثلوا فلا تغتم؛ لأنك إذا

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٥٤٣/١٧)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٨١/٤).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٥٨/٣).

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٤٩/٨).

(٤) التفسير البسيط (١٠/١٧-١١).

اغتممت اشتغلت بغيرك عن نفسك، وصار همك ولاء الناس، وهذا يفسد عليك أنت عباداتك الخاصة، فاشتغل بنفسك، وغيرك أد ما أوجب الله عليك لهم، ثم إن اهتدوا، وإلا لست عليهم بمسيطر، وبهذا يستريح الإنسان راحة عظيمة ويكون مقبلًا على عبادته، محسنا لها"(١).

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، بأنه لو شاء هداية جميع الخلق قسرًا وجبرًا، لأمكنه ذلك، فقال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤](٢).

ولو فعل سبحانه وتعالى ذلك: لسقطت الحكمة من الابتلاء، وانعدمت المقاصد الشرعية من تكليف الناس بالعبادات الشرعية، ولاستحق جميع الناس دخول الجنة، ولم يظهر فضل المطيع لربه، والمنقاد لأمره، والمستسلم لحكمه، عن العاصي لحكم خالقه، والمتكبر عن قبول شريعته، والمتولي عن الانقياد لأوامره ونواهيه(٣).

ثانيًا: إقامة الحوار الفكري مع المخالف والإقناع بالحجة والدليل:

وقد ظهر ذلك في عدد من الآيات الكريمة، منها:

- قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨].

- ففي هذه الآيات حكاية من الله تعالى لقصة الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وبين فرعون، حيث إن موسى عليه السلام ابتدأ الخطاب بكونه مرسلًا من رب العالمين: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

فرد عليه فرعون بقوله: (وما رب العالمين)، حيث وقع الخطاب هنا على وجه إنكار وجود الخالق عز وجل من أصله وأساسه.

فأجابه موسى عليه السلام: بأنه خالق السماوات والأرض، ثم انتقل بعد ذلك بذكر دليل آخر، وهو الإشارة إلى أنكم أنتم أتيتم من آبائكم، ومن أتى من أب فكيف يمكن أن يكون ربا؟! حيث إنه مخلوق من نطفة فما فرعون ولا غيره إلا طبقة من طبقات الوجود الكوني القابل للفناء والتحول، فلا يمكن أن يكون ربا البتة، وهذا فيه طعن في دعوى فرعون وكسر لجبروته وطغيانه، ثم قوَّى الاستدلال على ربوبية الله

(١) تفسير الشعراء، للعثيمين (ص٢٠-٢١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي (١٥٦/٧).

(٣) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٥٢٧٧/٨)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٢٥/٤).

تعالى من خلال التدليل على أنه المتصـــرف في جميع الحوادث الكونية الواقعة في المشـــرق والمغرب، وهذا بخلاف فرعون حيث إنه لا يملك إلا بقعة صـغيرة من الأرض، وهو مع ذلك لا يقدر على التصـرف التام فيها، ولا تسيير جميع ما عليها(١).

ويلاحظ في مجريات هذا الحوار ووقائعه: أن فرعون كان يقصد المشاغبة والتشويش على العامة، إلا أن موســى عليه الســلام كان رابط الجأش، روي الفكر، ناصـح الحجة، يذكر الدليل المناسـب في مكانه، ثم ينتقل إلى ذكر الدليل الآخر كاشـــفًا عن براهينه، وموضـــحًا لدلائل قوله وخطابه، فنبههم موســـى عليه الســـلام أولًا: إلى أن اللَّه ربكم الذي خلقكم وأنشـأكم، وخلق آباءكم الأولين ورباهم وكونهم، فهل فرعون خلق وقدر، وهو المخلوق الذي لا يخلق، ولا يقدر، وثانيًا: إلى أن اللَّه رب آبائكم الأولين قبل أن يوجد فرعون، وثالثًا: إلى أن الرب يجب أن يكون قديمًا باقيًا، ولا يكون محدثًا فانيا، كفرعون، فكان كلام موسى عليه السلام متضمنا حجة قوية لإبطال ألوهية فرعون، وإنه بشر كسائر البشر، لَا يملك خلقًا ولا إنشاء، ولذلك اتجه فرعون إلى رمى موسى بالجنون أولًا، وتهديده بالسجن ثانيًا(٢).

- ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩-٣٣].

حيث إن الله تعالى حكى في هذه الآيات تهديد فرعون لموسى عليه السلام بالحبس، بعد أن عجز عن المناظرة، وغلب في الحوار.

فما كان من موســـى عليه الســـلام إلا أن نوّع في الحجاج، وأكثر من الأدلة والبراهين، فعرض على فرعون أن يريه الآيات المؤيد بها من رب العالمين، والمعجزات الباهرة التي اختص بها من الله الكريم، وهي بياض يده من غير مرض، وتحويل العصا إلى حية حقيقة(٣).

- ومنها قوله تعالى حكاية عن خطاب نوح وهود وصـالح ولوط وشـعيب عليهم السـلام لأقوامهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

فقد كان هؤلاء الرســل عليهم الســلام يجيبون أقوامهم عند إعراضــهم وعدم الســماع منهم، بأنهم لا يطلبون منهم جزاء على نصحهم لهم، بل يدخرون ثواب ذلك عند الله تعالى(٤).

(١) ينظر: تفسير الشعراء، للعثيمين (ص٦٩-٧٧).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٥٣٤٨/١٠).

(٣) ينظر: تفسير الشعراء، للعثيمين (ص٨٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٥١/٦).

ومن خلال التأمل في قصة الخليل عليه السلام، وحواره مع قومه في هذه السورة الكريمة، يظهر أنه استخدم عددًا من الأساليب الحوارية والآداب الإقناعية عند التخاطب مع قومه، ودعوتهم إلى الدين الصحيح، ومنها:

١- المبادرة بالسؤال في موضوع الحوار:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠].

حيث اعتمد في هذا الحوار على الاستدراج إما بالسؤال وذلك ليثبت لهم عن طريق الحجج والبراهين المنطقية التي تخاطب العقول(١).

وهو من أسس الحوار والمناقشة وإقامة الأدلة العقلية، وهذا ما يسمى بالأسلوب الحجاجي البرهاني والمنطقية لإقناع من نحاورهم والاعتماد على دعم الحوار بالحجة القاطعة والبرهان لدحض ادعاءات المنكرين للتوحيد والبعث بأسئلة تتوخى زعزعه تقاليدهم ومعتقداتهم الباطلة، ويعد أبلغ الأساليب لأنه يحاور العقل(٢).

٢- التحاكم إلى الدليل الصحيح والحجة القويمة:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣].

حيث استدل الخليل عليه السلام بعدم تصرف أوثانهم، وأنهم لا يقدرون على فعل أي عمل خاصة من دفع ضر أو جلب نفع، على وجوب إفراد الرب المستحق بالعبادة والطاعة، وعدم الشرك به؛ لكونه هو خالق الكون، والمتصرف فيه، والمدبر لأمره وشأنه(٣).

قال الزمخشري: "وجاء مضارعًا - أي قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَ﴾ مع إيقاعه في (إذ) على حكاية الحال الماضية، ومعناه: استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها، وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط، وهذا أبلغ في التبكيت"(٤).

٣- التنوع في عرض الأدلة والحجج:

فإذا ظهر أن الطرف الآخر إنما يريد مجرد التشغيب والتشويش من غير إظهار رد علمي صحيح، فإنه يفضل في هذه الحالة للمحاور الانتقال إلى دليل قوي آخر، وعدم الاشتغال لإظهار خطأ الطرف الآخر، لأن في ذلك خروجًا من مقصد المحاورة والمجادلة.

---

(١) ينظر: الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام - مقاربة تداولية، لفائزة بوصلاح (ص١٧٧).

(٢) ينظر: آداب الحوار في القرآن الكريم - سورة مريم أنموذجًا، لعبد الرحمن ساغور (ص٣٧).

(٣) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، للطوفي (ص٤٦٩)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٥٩٢).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣١٨/٣).

وقد ظهر ذلك في قصة حوار الخليل عليه السلام مع قومه، حيث استدل بأن هذه الأوثان لا تقدر على مخاطبة من يعبدوها، فصلًا عن أن يسمعونهم حين ينادونها ويدعون لها.

٤- الثبات على الحق والصبر عليه:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥- ٧٧].

حيث خاطبهم عليهم السلام ببراءته من جميع ما عبد من دون الله، وعداوته لذلك، وعبر عن بغضته واطراحه لكل معبود سوى الله تعالى بالعداوة(١).

ثالثًا: الصبر على الأذى والتغافل عن القول السيء

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٨- ٢٢].

حيث إن موسى عليه السلام لما أدى الرسالة هو وأخوه، قال فرعون مجيبًا لهذه الدعوة: بعد هذا الأمر تأتي وتدعي أنك رسول رب العالمين؟! ومعنى ذلك أنه ينكر ربوبية فرعون، فكأنه يقول بعد هذه الأمور الثلاثة: كان الأليق بك أن تأتي معتذرًا، وأن تأتي خاضعا؛ لأننا منا عليك، ولأنك أخطأت علينا، فأجابه موسى عليه السلام بأنه يشعر بعدم الاكتراث وبالتحدي لفرعون، وأنه لم يبال به؛ لأنه لم يفعل ما فعل إلا من قبل الجهل الذي ليس عن عمد، وهذا لا لوم فيه على صاحبه ولا تبعة عليه فيه(٢).

رابعًا: الإحسان إلى الوالد ولو كان مقصرًا في الحقوق والواجبات

من مظاهر خلق التسامح النبوي في دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام: الإحسان والتقدير والاحترام للوالد، مع مخالفته ووقوعه في الشرك، والإعراض عن دعوة الحق.

وقد عرض القرآن الكريم لعلاقة الخليل عليه السلام مع أبيه في عدد من المواقف الجليلة والآداب العظيمة، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

١- التلطف في الخطاب، والمبالغة في التقدير والاحترام:

فقد قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ

(١) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/٢٣٤).

(٢) ينظر: تفسير الشعراء، للعثيمين (ص٥٧-٦٢).

لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٤١- ٤٨].

ففي هذه الآيات نحس أسلوب الداعية المخلص في التوجيه والتعليم، الذي يحذر في لطف وينذر في لين، ويعرف منزلة الأبوة ومكانتها، فيعطيها حقها من اللين والاحترام، ومع أن تلك الأبوة لم تقابل هذه الدعوة بالحنان والشفقة، بل انقلبت إلى نار تتأجج وجحيم يتوقد، تمثل ذلك في قول تلك الأبوة الظالمة: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٦][1].

حيث إن هذه الآيات اشتملت على آداب سامية، وأخلاق عالية، وفنون راقية في التعامل مع الوالد، حيث إن الخليل عليه السلام ابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره ولم يسمه باسمه فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، ثم اخرج الكلام معه مخرج السؤال فقال: ﴿لِمَ تَعۡبُدُ﴾، ولم يقل: لا تعبد، ثم قال: ﴿إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾، ولم يقل له: إنك جاهل لا علم عندك، ثم قال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ حيث نسب الخوف إلى نفسه دون أبيه، كما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه، وقال: ﴿يَمَسَّكَ﴾ حيث ذكر لفظ المس الذي هو ألطف من غيره، ثم ذكر الرحمن ولم يقل: الجبار، ولا القهار، فأي خطاب ألطف وألين من هذا!![2].

٢- الدعاء بالهداية والتوفيق:

فقد قال تعالى: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

حيث إن إبراهيم عليه السلام بعد أن دعا أباه إلى الدين الحق والطريق المستقيم، وعندما لم يستجب أبوه له، فإنه لم يقابل تلك الشدة بمثلها، كما يفعل الأبناء الجهلة، ولكنه قابل تلك الشدة باللين والإحسان، حيث أخبر بأنه سوف يقوم بالاستغفار له والدعوة له، وهذا الاستغفار من إبراهيم عليه السلام إنما كان طمعًا منه في إيمان أبيه، ولكنه حينما ظهر له إصراره على الشرك، وعداوته المتأصلة لدين

(١) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، للرحيلي (١/١٩٨-١٩٩).

(٢) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (٣/١٣٣).

الله تعالى، تبرأ منه وقطع صلته به، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤][(١)].

ويظهر أن الخليل عليه السلام قد استغفر لأبيه مدة طويلة، وبعد أن هاجر إلى الشام وبنى المسجد الحرام، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، كما يظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، حيث إن ذكر دعاء الخليل عليه السلام جاء في هذه السورة مذكورًا بعد بنائه البيت الحرام[(٢)].

وقد استجاب الله تعالى له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه، والأمر لله من قبل ومن بعد[(٣)].

وكان من الدعاء الذي دعا به إبراهيم عليه السلام ما ذكره الباري جل وعلا في قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٦- ٨٩].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار))[(٤)].

نتائج البحث:

١- أن القرآن الكريم هو دستور الأخلاق والآداب، وهو يشتمل على الآداب السامية، والأخلاق الراقية.

٢- أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا أبرز العاملين بالتوجيهات الربانية، وخاصة فيما يتعلق بخلق التسامح مع أقوامهم عند دعوتهم إلى الإسلام.

٣- أن من أبرز المواقف التي اشتملت عليها سورة الشعراء فيما يتعلق بموضوع التسامح، هي:

أ- المبالغة في دعوة الناس وإرهاق النفس.

---

(١) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، للرحيلي (١/١٩٩).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/٢٣٦).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٤٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، (٤/١٣٩)، رقم (٣٣٥٠).

ب- إقامة الحوار الفكري مع المخالف والإقناع بالحجة والدليل.

ج- الصبر على الأذى والتغافل عن القول السيء.

د- الإحسان إلى الوالد ولو كان مقصرا في الحقوق والواجبات.

توصيات البحث:

- عمل دراسات متخصصة حول خلق التسامح عند الأنبياء في بقية السور القرآنية.

اعترافات:

يعرب المؤلفون عن تقديرهم لعمادة البحث العلمي في جامعة الملك خالد لتمويل هذا العمل من خلال مجموعات بحثية كبيرة تحت رقم المنحة (RGP.2 /606 /45).

Acknowledgments:

The authors extend their appreciation to the Deanship of Scientific Research at King Khalid University for funding this work through Large Research Groups under grant number (RGP.2/ 606/ 45).

المصادر والمراجع:

ابن عطية، عبد الحق. (١٤١٣هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد. (د. ت). *بدائع الفوائد*. (د. ط)، دار الكتاب العربي: بيروت.

ابن كثير، إسماعيل. (١٤٢٠هـ). *تفسير القرآن العظيم*. ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية.

أبو زهرة، محمد. (د. ت). *زهرة التفاسير*. (د. ط)، دار الفكر العربي: بيروت، لبنان.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

بوصلاح، فائزة. (٢٠٠٩-٢٠١٠م). *الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام – مقاربة تداولية*. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللسانيات، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر.

الثعلبي، أحمد. (١٤٢٢هـ). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

الرحيلي، حمود. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م). *منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام*. ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الزجاج، إبراهيم. (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). *معاني القرآن وإعرابه*. ط١، عالم الكتب: بيروت، لبنان.

الزمخشري، محمود. (١٤٠٧هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، لبنان.

ساغور، عبد الرحمن. (٢٠١٥م). *آداب الحوار في القرآن الكريم –سورة مريم أنموذجًا*. ط١، (د. م)، (د. ن).

السعدي، عبد الرحمن. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، لبنان.

الطبري، محمد. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان: المملكة العربية السعودية.

الطوفي، سليمان. (١٤٢٦هـ). *الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية*. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان.

العثيمين، محمد. (١٤٣٦هـ). *تفسير القرآن الكريم – سورة الشعراء*. ط١، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية: المملكة العربية السعودية.

القيرواني، مكي بن أبي طالب. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه*. ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة الشارقة: الإمارات.

الماتريدي، محمد. (١٤٢٦هـ). *تأويلات أهل السنة*. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت.

مقاتل بن سليمان. (١٤٢٣هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث: بيروت، لبنان.

الواحدي، علي. (١٤٣٠هـ). *التفسير البسيط*. ط١، عمادة البحث العلمي– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: المملكة العربية السعودية.

Ibn ʻAṭīyah, ʻAbd al-Ḥaq. (1413h). al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz. Ṭ1. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

Ibn Qayyim al-Jawzīyah, Muḥammad. (D. t). Badā'iʻ al-Fawā'id. (D. Ṭ). Bayrūt: Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

Ibn Kathīr, Ismāʻīl. (1420h). tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm. ṭ2. al-Mamlakah al-ʻArabīyah al-Saʻūdīyah: Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

Abū Zahrah, Muḥammad. (D. t). Zahrah al-tafāsīr. (D. Ṭ). Bayrūt: Dār al-Fikr al-ʻArabī.

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl. (1422h). al-Jāmiʻ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallá Allāh ʻalayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh. taḥqīq: Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir. Ṭ1. Dār Ṭawq al-najāh (muṣawwarah ʻan al-sulṭānīyah b'ḍāfh trqym Muḥammad Fu'ād ʻAbd al-Bāqī).

Bwṣlāḥ, Fā'izah. (2009-2010m). al-Iqnāʻ fī qiṣṣat Ibrāhīm ʻalayhi alslām-mqārbh tdāwlyt-. baḥth muqaddam li-nayl darajat al-mājistīr fī al-

lisānīyāt, Qism al-lughah al-‘Arabīyah wa-ādābihā, Kullīyat al-Ādāb wa-al-lughāt wa-al-Funūn, Jāmi‘at whrān-al-Jazā’ir.

al-Tha‘labī, Aḥmad. (1422). al-kashf wa-al-bayān ‘an tafsīr al-Qur’ān. Ṭ1. Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.

al-Ruḥaylī, Ḥammūd. (1424h-2004M). Manhaj al-Qur’ān al-Karīm fī Da‘wat al-mushrikīn ilá al-Islām. Ṭ1. al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah: ‘Imādat al-Baḥth al-‘Ilmī bi-al-Jāmi‘ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah.

al-Zajjāj, Ibrāhīm. (1408h-1988m). ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh. Ṭ1. Bayrūt: ‘Ālam al-Kutub.

al-Zamakhsharī, Maḥmūd. (1407h). al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl. ṭ3. Bayrūt: Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

Sāghwr, ‘Abd al-Raḥmān. (2015). ādāb al-Ḥiwār fī al-Qur’ān alkrym-swrh Maryam anmwdhjā-. Ṭ1. (D. M). (D. N).

al-Sa‘dī, ‘Abd al-Raḥmān. (1420h-2000m). Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān. Ṭ1. Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah.

al-Ṭabarī, Muḥammad. (1422h-2001M). Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān. Ṭ1. al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah: Dār Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-I‘lān.

al-Ṭūfī, Sulaymān. (1426). al-Ishārāt al-ilāhīyah ilá al-mabāḥith al-uṣūlīyah. Ṭ1. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah: Bayrūt.

al-‘Uthaymīn, Muḥammad. (1436h). tafsīr al-Qur’ān alkrym-Sūrat al-shu‘arā’. Ṭ1. al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah: Mu’assasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-‘Uthaymīn al-Khayrīyah.

al-Qayrawānī, Makkī ibn Abī Ṭālib. (1429h-2008m). al-Hidāyah ilá Bulūgh al-nihāyah fī ‘ilm ma‘ānī al-Qur’ān wa-tafsīruh wa-aḥkāmuhu wa-jumal min Funūn ‘ulūmuhu. Ṭ1. al-Imārāt: majmū‘ah Buḥūth al-Kitāb wālsnt-klyh al-sharī‘ah wa-al-Dirāsāt al’slāmyt-jām‘h al-Shāriqah.

al-Māturīdī, Muḥammad. (1426 H). Ta’wīlāt ahl al-Sunnah. Ṭ1. Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Muqātil ibn Sulaymān. (1423h). tafsīr Muqātil ibn Sulaymān. taḥqīq: ‘Abd Allāh Maḥmūd Shiḥātah. Ṭ1. Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth.

al-Wāḥidī, ‘Alī. (1430 H). al-tafsīr al-basīṭ. Ṭ1. al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah: ‘Imādat al-Baḥth al‘lmy-Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah.